

أنا وأنت على الطريق جريمة بشعة أب يقتل ابنه المعوق

قرأت مؤخرا خبرا ورد في الصحيفة العربية أثار بالحق شجوني وأزعجني يا سيدتي، وأردت أن أشاركك به لما فيه من عبرة لنا نحن في مجتمعاتنا العربية. فتعالى نستمع معا إلى ما جاء فيه تحت عنوان: تفاصيل جريمة بشعة في الأردن قتل ابنه ليتخلص من إعاقته وأحرق جثته: تمكن العاملون في مديرية شرطة جنوب عمان والبحث الجنائي من فك ملابس العنور على جثة طفل مجهول محترقة في إحدى العمارات المهجورة وإلقاء القبض على مرتكب هذه الجريمة البشعة الذي لم يكن إلا والد هذا الطفل. وقال المركز الإعلامي الأمني في مديرية الأمن العام أن شرطة جنوب عمان تلقت بلاغا حول وجود جثة محترقة في إحدى العمارات المهجورة حيث تحركت قوة من المركز الأمني المختص وبالكشف الأولي للجثة تبين بأنها لطفل صغير وبعد تحويل الجثة إلى الطبيب الشرعي، تبين أن عمر الطفل بين 6-9 سنوات وتبين أن الوفاة ناتجة عن السقوط الذي سبب نزيفا داخليا وأن عملية الحرق وقعت بعد الوفاة. وتم البحث ومطابقة أوصاف الطفل من حيث العمر في سجلات المبلّغ عن تغيّبهم عن منازل ذويهم إلا أنه لم يرد لأي من المراكز الأمنية بلاغ بتغيّب طفل في هذا العمر. ونظرا لبشاعة الجريمة وغياب المعلومات التي قد تقود التحقيق فقد شكلت عدة فرق تحقيق وبحث من الشرطة ما أمكن من معلومات للوصول إلى هوية الطفل وتحديد الجاني .

ويتابع الخبر ليقول بأن المركز الإعلامي قال إن أحد أفراد الشرطة تمكن من الحصول على معلومات من أحد المواطنين دفعته للاشتباه بأحد الأشخاص الذي يعمل بأحد المحال التجارية القريبة من المكان والذي ظهرت عليه علامات الاضطراب خلال الأيام التي تلت الحادثة. وجرى على الفور متابعة المعلومة واستدعاء ذلك الشخص وبالتحقيق معه من قبل المختصين اتضح أنه والد الطفل الضحية واعترف أنه كان قد اصطحب طفله البالغ ثماني سنوات، والذي يعاني من مرض عقلي إلى مكان عمله ضمن اختصاص جنوب عمان وأنه كان قد خطط لقتله كونه يشكل عبئا عليه. وتوجه إلى أحد العمارات المهجورة وصعد مع طفله إلى الطابق الرابع وألقى به من فوق العمارة ومن ثم قام بسكب مادة مشتعلة على الجثة الهامدة وأضرم فيها النار وغادر المكان وقد جرى توديع المجرم وكافة التحقيقات إلى مدعي عام الجنايات الكبرى لاتخاذ كافة الإجراءات القانونية بحقه. إلى هنا ينتهي الخبر الأليم.

صار الحمل عليه أكثر مما يحتمل. فتخلص من طفله ذي الثماني سنوات. وقال بالحرف الواحد إنّه أصبح عبثاً، أي ثقلاً. لكن مهما كان الحال يا سيدتي، فإنّه كان من واجب الأب على الأقل أن يطلب المساعدة أو يفتش عن مكان خاص لرعاية الأطفال المعوّقين، وهو لا يملك الحق البتة بأن يقضي على حياة طفله البريء. بالفعل إنها جريمة بشعة وغير مبررة أبداً. ثم إنّ هناك نظرة عامة سلبية تجاه المعوّقين في بلادنا العربية، لأنهم يعتبرون الإعاقة عيباً كبيراً وتجلب العار على العائلة. أو ربما بسبب الاعتقاد السائد بأنّ شرّ الأهل يظهر في الأولاد فيولد لهم أولاد معوّقون. وبالطبع فإنّ كل هذه الأفكار خاطئة وهي لا تليق أن تكون سائدة في مجتمعاتنا أبداً خاصة أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين.

ترى هل سبق لنا أن رأينا هذه النظرة السلبية أو الدونية للمعوّقين واضحة أو سائدة في القديم أي منذ الأيام التي كان فيها الرب يسوع المسيح على أرضنا هذه؟ بالتأكيد، فلقد كان مرة الرب يسوع يمشي مع تلاميذه أي حواريه، في المدينة إذا رجل مولود أعمى. فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟ أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه. قال هذا وتقل على الأرض وصنع من التفل طينا وطفى بالطين عيني الأعمى وقال له اذهب اغتسل في بركة سلوام. فمضى واغتسل وأتى بصيراً.

إنّ كان المفهوم السائد منذ ذلك الزمان هو بأن الأولاد يحملون ذنوب الآباء فيولدون معاقين إما جسدياً أو عقلياً، أو أنّ الإعاقة ناتجة عن خطايا الشخص نفسه. لكنّ جواب الرب يسوع المسيح بيّن لهم أنّ الخطية ليست هي السبب في ذلك بل لكي تظهر أعمال الله فيه، أي عمل الشفاء العجيب الذي سيُجرّبه المسيح فيه. وهذا بالضبط ما سمعناه حصل. نعم يا سيدتي، فموقف المسيح من كل متألّم محتاج معوّق مريض حزين، هو موقف العطف والحنان والرقّة والرحمة. ولا يفرّق بين إنسان وإنسان، بل الكل ينظر إليهم نظرة المحبة والرحمة والنعمة. ويتابع الإنجيل بحسب البشير يوحنا قصة هذا الرجل الذي شفاه المسيح فيخبرنا بأنه أخرج من مجمع اليهود لأنّه اعترف بأن الذي شفاه ليس هو إنساناً خاطئاً وإلا لما كان يستطيع أن يشفيه ويفتح عينيه. والتقاء المسيح بعد ذلك وقال له: أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك وقال: من هو يا سيد لأؤمن به؟ فقال له يسوع: قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو. فقال أومن يا سيد وسجد له. لقد التقاه المسيح بعد أن شفاه، وأظهر له ذاته وحقيقته بأنه فعلاً ابن الله، وطلب إليه بأن يؤمن به. وعندما صرح بإيمانه، فهم وأدرك وصار لديه بصيرة روحية وسجد له لأنه ابن الله أي من جوهر الله نفسه لذا فهو الوحيد الذي يشفي ويغفر الخطية. وعليه قبل أن يسجد له الأعمى، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. فهل نتبع مثل المسيح؟